الدين والعنف رؤية على ضوء الفكر المسيحي في حوار مع الأب الدكتور جورج مسوح(*)

: إن من ينظر إلى ما يدور حوله في هذا العالم، يقع بصره أول ما يقع على العنف، وعلى هذه الحروب التي تنتقل من مكان إلى آخر، تخاض أحياناً باسم الدين، وأخرى تُربط بالدين مع أنه لا يحثّ عليها. ولكن هناك علاقة ولو متوَّهَمة ومفتعلة بين العنف والدين، يشهد بهذه العلاقة الواقع الخارجي الذي نشاهده أو شاهده السابقون. وهذا يدعونا إلى البحث عن طبيعة هذه العلاقة. في البداية ما هو العنف، حتى نتفق على المفهوم ثم بعد ذلك نبحث عن هذه العلاقة المزعومة؟

الدكتور مسوح: أعتقد أن العنف هو كل سلطة تمارس من إنسان على إنسان آخر، لتحدّ من حريته، وتنتقص من كرامته. فليس العنف هو القتل، أو الضرب، أو تعذيب الناس فحسب، بل هو كل حرمان للآخر من حريته. ويؤمن اللاهوت المسيحي بأن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله، وهذا لا يقصد به الشكل، وإنما يقصد به ما يميز الإنسان عن سائر المخلوقات، وبالتالي هو الحريّة والعقل، حريته في أن يختار ما يشاء في حياته، سواء كان شراً أم خيراً. ومن هنا، كان كل حد من حريّة الإنسان عنفاً، وقتلاً لصورة الله فيه.

إذاً، العنف في رأينا هو كل ما ينتقص من قيمة الإنسان في هذا الكون، من جهة أن الله ائتمنه على هذه الأرض وأمره بإعمارها.

* مدير مركز الدراسات الإسلامية المسيحية في جامعة البلمند ـ لبنان.

: إذا كان العنف هو الحد من الحرية، فهل يمكن أن نميِّز بين نوعين من العنف، أحدهما مشروع والآخر غير مشروع، وكيف نعرف كل واحد منهما إن وجد هذان النوعان؟

الدكتور مسوح: هذا بحث واسع جداً ويستحق وقفة أطول، ولكن العنف هو العنف في كل الأحوال، الا أن هناك من يستعمل العنف في سبيل إحقاق الحق، وهذا العنف لا بد أن يأتي بعد استنفاد كل الوسائل السلمية. الخيار الأول لصد العدوان والدفاع عن النفس هو الحسنى، ونلجأ إلى العنف كخيار أخير. ولكن في استعمالنا للعنف لا بد من احترام إنسانية العدو، بمعنى أن لا يدخل في قلوبنا نوع من التشفي أو الانتقام. وبالتالي، يقضي الإنسان على روحه في ممارسته للعنف ضد الآخر، ولو كان ذلك في سبيل هدف سام هو إحقاق الحق. من هنا، لا بد من التمييز بين الشر وبين الإنسان الشرير؛ بين الخطيئة وبين الخاطئ وهكذا...

نحن نسعى إلى إحقاق الحق والسلام، نريد توبة الخاطئ، ولا نريد تدميره وقتله ويكمن عمق هذه الإشكالية في اللاهوت المسيحي. ويمكننا أن نتحدث عن أمور أكثر ملامسة للواقع، ولا نتعرض للجانب اللاهوتي، وما أريد قوله هو: أنني عندما أسعى إلى السلام كيف أحققه بواسطة الحرب والقتل؟!

ومن هنا، أكرر أنه لا بد من كون الخيار الأول هو السلم والوسائل السلمية، أو غير العنيفة مثل العصيان المدني، والمظاهرات، وغير ذلك من الوسائل والأساليب. وهذا ما قام به كثيرون في العالم مثل: **غاندي** في الهند، و**مارتن لوثركينغ** في أميركا عندما طالبوا بالحقوق المدنية.

نعم بعد استنفاد كل الوسائل السلمية يمكن اللجوء إلى العنف، كما في نموذج الحركة الصهيونية في إسرائيل التي تبين أكثر فأكثر، أنها لا تريد الحوار، ولا التعايش مع شعوب المنطقة، وهي في حرب دائم معهم. وبالتالي لا مجال لغير العنف مع هذه الجماعات؛ لأن كرامة الإنسان تداس من قبل هذه الدولة، فلا يمكنني أنا كمسيحي أن أسكت بحجة عدم استحساني لممارسة العنف، وإلا أكون شريكاً للظالم في ظلمه. بهذا المعنى يقول القديس **أمبرو سيوس** أسقف ميلانو في القرن الرابع: «**إن الإنسان الذي يصمت عن ظلم الظالم يكون شريكاً له**».

إذاً، الإشكالية كبيرة جداً والحديث فيها طويل، وكل حالة لها خصوصيتها، فلا نستطيع أن نقول: إنه يوجد عنف مشروع وعنف غير مشروع، فهناك حالات معينة لا يجوز فيها الصمت، ويكون هو العلاج الأخير كما يقولون: «**آخر الدواء الكي**».

: قلتم: إن العنف هو آخر الدواء فلماذا لا يكون العنف: مشروعاً وغير مشروع. عندما نسمح لأحد بممارسة العنف في مقام الدفاع عن النفس لماذا لا نسمي هذا العنف مشروعاً؟

الدكتور مسوح: قد نجد في الإنجيل حديثاً يبدو منه التسامح مع المعتدي كقول المسيح: «**من ضربك على خدك الأيمن فاعرض له الآخر**» ولكن يمكن فهم هذه المقولة وما شابهها بطريقة أخرى، يريد أن يقول المسيح: إن من يضربك يريد أن يلغي وجودك وكأنه يقول لك: «أغرب عن وجهي». وهنا يقول المسيح: أدر له خدك الأيسر، أي أظهر له وجهك ثانية واعترض على إلغائه لك. وهذا أقل ما يحق للمظلوم أن يفعله. إذاً لا يدعونا المسيح إلى تقبل الضرب ثانية.

من هنا كان المسيح ثورة ضد الشر، وعلى هذا الأساس وحده ينبغي فهم كلمات من قبيل «**أحبوا أعدائكم**»؛ أي أنه لا تدخلوا الحقد إلى قلوبكم، لكي لا تكون عندكم روح الانتقام والتشفي ضد أحد حتى لو كان من أعدائكم وكنتم تريدون أن تردعوه عن شره. ولا يعني هذا حرمان المظلوم من حقه في الدفاع عن النفس؛ لأن تمجيد اللا عنف بالمطلق أمر خاطئ.

عندما انتصرت الثورة الساندينية في نيكاراغوا مثلاً، وكان فيها رجال مسيحيون كـ«**بورخست**» الرجل الذي عُذِّب وسُجن لسنوات قبل الثورة كان قراره الأول هو إلغاء عقوبة الإعدام. إذاً، رغم الثورة بقيت الروح الإنسانية التي تعلي أمر الإنسان، والتي لا يدخلها روح الانتقام والتشفي.

وقد يتجاوز الإنسان أحياناً حدوده في حالات الدفاع عن النفس وأذكر هنا قضية أخبرني بها أحد رجال الدين المسيحيين حيث يقول: انتُدِبت إلى إحدى الأبرشيات لممارسة دوري بوصفي راعيا لتلك الأبرشية، فوجدت السائق الذي يرافقني يحمل سلاحاً، فسألته لم هذا السلاح؟ قال: لأدافع به عنك. فقلت له: ارمه جانباً؛ لأن حياتي ليست أغلى من حياة من يريد الاعتداء علي. نعم هذا قرار شخصي اتخذه هذا المطران، وقد أخبرني أنه يجد في القرآن الكريم سنداً لهذا الموقف؛ حيث يقول القرآن الكريم في الآية ٨٢ من سورة المائدة: ﴿**لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين**﴾. ولكن هذا المطران نفسه لا يرضى أن لا يدافع عن المظلوم، أو المعتدى عليه.

: ألا تعتقدون بلزوم التمييز بين الأخلاقيات وبين القانون، حيث إن العفو والابتعاد عن روحية الانتقام والتشفي أمر مطلوب أخلاقياً، ولكننا نتحدث عن قانون يشتمل على مواد عنفية تهدف إلى الحفاظ على دورة الحياة بشكل منسجم؟

الدكتور مسوح: طبعاً لا بد من وجود العقاب والقصاص في المجتمع، إلا أنه على الإنسان المؤمن أن يسعى إلى إحلال ملكوت الله على الأرض، وأعمدة هذا الملكوت وركائزه هي: **السلام، والعدل، والمحبة**. وهذا يجب أن يستمر إلى أن يأتي اللّه ثانية، ويرث الأرض ومن عليها. والشر باقٍ ما بقي الإنسان؛ لأن النفس الإنسانية أمارة بالسوء، ولذلك لا بد من وجود عقاب يردع الظالم، وقوانين تحمي المظلوم، مع تأكيد حق المظلوم في التنازل عن حقوقه لو شاء، فيما إذا كان الموضوع شخصياً، أما عندما يتعلق الأمر بالمجتمع، فذلك شأن آخر؛ فالفلسطيني الذي يطرد من بيته وأرضه أنا مسؤول عنه، ولا يحق لي التسامح والتهاون في الدفاع عنه ولو «بالعنف». وإذا شئت استعمال كلمة العنف في مثل هذه الموارد، فيمكن القول بوجود عنف إيجابي وآخر سلبي، مشروع وغير مشروع، على أن يحافظ المؤمن على نقائه عند ممارسة العنف ضد الظالمين.

ولابد من الإشارة إلى عدم وجود قوانين في الكنيسة المسيحية تبيح العنف وتشرعه، بل هناك تشدد عند آباء الكنيسة، فبعضهم يرى أن من يذهب إلى الحرب عليه أن يتوب عشرين سنة قبل المشاركة في أسرار الكنيسة، إلا أن هذا جاء كردة فعل على دخول المسيحية الإمبراطورية الرومانية عندما أصبحت الدين الرسمي للدولة، ولكن لا توجد قوانين بالمعنى الدقيق للكلمة. وبالتالي، فالمسيحية تترك حرية للمسيحي أن يحدد موقفه على ضوء تعاليم المسيح، يرى بعينه، ويستلهم هديه.

: نحن لا نتوقع من المسيحية أو غيرها من الأديان أن تدعو المؤمن إلى الانتقام وتحثه عليه، بل هناك ما يشجعه على العفو والصفح، حتى في حالات القتل، ولكن ألا يوجد قانون يبيح للمؤمن الاقتصاص والعقوبة؟

الدكتور مسوح: لا، لا توجد قوانين تبيح. نعم، في الكنيسة الكاثوليكية مثلاً؛ نجد أن الدفاع عن النفس مشروع. وهناك بعض الاجتهادات عند بعض رجال الدين الأرثوذكس تتبنى مشروعية بعض الحروب، فالبطريرك الروسي كان يبارك الجنود الروس الذاهبين إلى الحرب. وعلى أي حال، كما قلت، لا توجد نصوص قانونية تشرع العنف، والموضوع متروك لاجتهادات المؤمنين على ضوء تعاليم المسيح.

نعم عند البروتستانت العنف مشرَّع، والنموذج هو أمريكا، حيث يرون الحرب شيئاً مباركاً، وهم يستلهمون ذلك من العهد القديم. بينما الأرثوذكس لا يشرعون ذلك رغم وجود بعض النصوص من الإنجيل تدل على استخدام المسيح للعنف ضد التجار عندما

طردهم من الهيكل بالسوط، إلا أن أحد آباء الكنيسة الأرثوذكسية يقول: إذا استطاع الإنسان أن يصل إلى وداعة المسيح يستطيع أن يفعل كما فعل المسيح، فعلى الإنسان أن يحصر ردة فعله بالشر فيدفعه، لا بالشرير؛ لأن الشرير رغم صفته، فهو إنسان خلقه الله على صورته وهو مدعو إلى التوبة، ومدعو إلى المشاركة في مجد الله يوماً ما. هكذا أرى المسألة، فليست هي قضية نصوص تشرع العنف بقدر ما على الإنسان أن يبقى أميناً على ما استلمه من تعاليم.

: قلتم إن البروتستانتية تستوحي موقفها من العنف من العهد القديم، وهنا يطرح سؤال هو: كيف يمكن أن نوفق بين محبة المسيح السائدة في أرجاء العهد الجديد، وبين القسوة وألوان العنف التي تبدو واضحة في العهد القديم، علماً أن العهدين معاً يمثلان كلمة الله، وكتابه المقدس كما تؤمن المسيحية؟

الدكتور مسوح: الكتاب المقدس بعهديه دوِّن على فترة طويلة استمرت ألف عام، وليس هو نصاً موحىً به بألفاظه وحروفه، وإنما هو شهادات دوّنها الكتبة والأنبياء وسجّلوا فيها خبرة هذا الشعب مع الله. وبالتالي، لا بد من أن يُدرس في سياقه التاريخي الذي عاشه ذلك الشعب، ومن الطبيعي أن تختلف الخبرات عبر التاريخ، وتتطور من خبرة قبيلة كانت تعيش في فلسطين محاطة بقبائل وثنية، مع إصرار على عدم الاختلاط بالآخرين كي لا يضيع نقاء الإيمان.

وتطورت هذه الخبرات مع **أشعيا** النبي وغيره من الأنبياء إلى أن أتى السيد المسيح في القرن الأول. ولكن الإله هو نفسه لم يتغير، فالله يكشف نفسه للناس وهم يدوِّنون كما يفهمون، وأحياناً بحسب مقتضيات البيئة التي يوجدون فيها، واستعملوا اللغة التي كانت سائدة بينهم آنذاك. إلى أن أتى المسيح وكشف للناس أن الله هو إله المحبة وليس إله القتل. وإذا أردنا أن نتحدث في الإطار المسيحي، فإن الأرثوذكسية تعتقد أن كل النبوءات التي وردت في العهد القديم تحققت بمجيء السيد المسيح. ومن هنا لا بد من قراءة الكتاب المقدس على ضوء مجيء السيد المسيح وكأن كل النبوءات تهْيِئة لمجيئه.

ولكن نشير إلى ضرورة فهم الكتاب المقدس بعهده القديم بغير معناه الحرفي، فعندما نرى أن **يشوع بن نون** قتل عشرين ألفا في أريحا، وأبادهم عن بكرة أبيهم، لابد أن نفهم منه الإشارة إلى الكثرة؛ لأنه لم يكن في أريحا في تلك الأيام عشرون ألفاً، ومهما يكن فإن الكنيسة تؤمن بالمسيح نموذجاً، إلا أن البروتستانتية لا ترى فرقاً بين المسيح وغيره فتجيز

الاقتداء بأي منهم. وبالتالي، تستلهم العهد القديم في تشريعاتها، وتجوِّز قتل الأطفال، والنساء، والشجر، والبقر، إذاً، الثقافة الأمريكية ثقافة بروتستانتية تقوم على تعاليم العهد القديم متناسية مجيء المسيح الذي نسخ ما جاء فيه.

: بناءً على ما ذكرتم هل يمكن القول: إن الكنيسة المسيحية لا تجد نفسها مضطرة إلى محاولة التوفيق بين العهدين القديم والجديد، بل تقبل العهد القديم كما هو ولكنها تؤمن بنسخه؟

الدكتور مسوح: نعم نُسِخَ العهد القديم كمضمون، وبقيت ألفاظه، كما في نسخ القرآن الكريم، ولكن لا بد من بقائه؛ لأنه يتضمن الكثير من النبوءات المتعلقة بالسيد المسيح؛ عندما يقول الله للنبي إبراهيم: «سأعطي هذه الأرض لنَسلِك من بعدك»، يفهم الأرثوذكس من هذا الكلام أن النسل هو المسيح، وهو الذي يرث الأرض كلها، فإبراهيم لم يأت ليعطي أرضاً لشعب يأتي من بعده. وأما البروتستانت، فيؤمنون أن الشعب هو إسرائيل. وهكذا سائر النبوءات كلها، تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية أنها تحققت بالمسيح.

: سواء رفضنا العنف أم قبلناه، فإنه أمر موجود وواقع لا يمكن إنكار علاقته بالدين. كثير من الحروب قامت باسم الدين، بين الأديان أو بين المذاهب داخل الدين الواحد، فهل هذا ناشئ عن فهم خاطئ للدين، أم لا؟ وإذا كان الفرض الأول هو الصحيح فما هو الضمان لتجنب هذا الفهم الخاطئ الذي كثيراً ما وقع، وسوف يقع في ما يأتي؟

الدكتور مسوح: كتبت مرة مقالة قلت فيها: بعد انقضاء الحروب يبدأ الحديث عن عدم علاقة الحرب بالدين والمتدينين وبراءتهم منها. ولكن مع الأسف فإن أغلب رجال الدين ينجرون إلى الحرب بسهولة؛ لأن المؤسسات الدينية تخضع في كثير من الأحيان للسلطة الزمنية القائمة. وبهذا المعنى نجد أن الأجيال اللاحقة تبدأ بالتبرؤ من الحرب. والأمثلة على ذلك عديدة منها الحروب الصليبية التي بدأ البابا يطلب الغفران من أجلها، وحرب الخليج وغيرها.

إننا لا نستطيع تبرئة الذات من مسؤولياتها تجاه عدم الوعي الديني عند الناس. وهذا ما يستغله بعض رجال الدين لإذكاء العصبيات ليُقوُّوا بذلك مواقعهم، ويمارسوا السلطة على رعاياهم. والدين من أكثر الأمور حميمية عند الناس، فإن الإنسان قد يصمت على الاعتداء على وطنه، وقد يصمت عن كثير من الأمور، ولكن تأخذه الحمية إذا استنهضه أحدٌ وقال له: لقد اعتُدِي على دينك أو تُعرِّض له.

ومن هنا فإني أحمّل كثيراً من رجال الدين المسؤولية، ولا يجب الانتظار إلى أن تنقضي الحرب، فنعلن البراءة منها.

: هل تعتقدون أن غير المسيحي يمكن أن يفوز ويخلص في الآخرة، وفي ضوء ذلك ما هو موقفكم من التعددية المعرفية، ألا يمكن طرحها كحلٍّ لمشكلة العنف، حيث يتم فيه قبول الآخر والاعتراف بحقه في الاختلاف معنا؟

الدكتور مسوح: إن الله كشف نفسه للعالم بواسطة الأديان، والدين هو ثقافة محددة في بيئة معينة؛ أي أن الله أكبر من كل دين وثقافة، وإذا حصرنا الله بهذا الدين أو ذاك لا يعود هو هو؛ لأنه ملك السموات والأرض، وهو إله البشر جميعاً. من هنا، يبقى الله حراً من كل مؤسسة دينية .

: هل تقولون هذا الكلام من منطلق ديني، أم من منطلق غير ديني، فلسفي مثلاً؟

الدكتور مسوح: ينطلق هذا الكلام من منطلقات دينية لا هوتية؛ يقول القديس أوغسطين: إن الله موجود قبل المسيح وقبل الأديان كلها، فالإنسان الذي كان يعبد القمر كان يعبد اللّه نفسه من دون أن يدري، وقمة الإعلان الإلهي هي مجيء المسيح. ولكن بعد المسيح هل اكتفى الله بمجيئه، وقيامته، وانتهى الأمر، بحيث يحصر الله أمره بالجماعة المسيحية وحدها، أم أنه يعمل خارج إطارها أيضاً، ولا شك في وجود الكثير من الأهواء والشهوات في هذه الجماعة. ولا يمكن لله أن يحصر نفسه فيها. ونضيف إلى ما قاله القديس أوغسطين: أنه لو كانت الجماعة المسيحية جماعة مؤمنة، وأمينة بالكامل على ما أتى به المسيح، لبسطت وجودها في العالم كله، إلا أنها اختُصِرت بثقافة معينة كالثقافة البيزنطية، وهناك أمم لم تصل إليها المسيحية، وصل إليها الله بطريقته. وهذا الكلام لا ينتقص من قيمة الإيمان المسيحي، فأنا أنجو في هذا الإطار، إلا أنني لا أحصر الله فيه؛ لأنه لا ينحصر في إطار محدد، وهو الذي يلزم الإنسان بكلماته، وهو يبقى حراً من كلماته؛ أي يلزمني بالإنجيل كمسيحي، وهو حر من الإنجيل، هذا الأمر الأول.

والأمر الثاني هو: عندما يتحدث المسيح عن الدينونة يقول في إنجيل متى: «**لأني جعت فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كنت غريباً فآويتموني. عرياناً فكسيتموني. مريضاً فزرتموني محبوساً فأتيتم إلي**». إذاً، هو يقول للذين لم ينجوا: كنت جائعاً، فلم تطعموني، عكس الحالة السابقة، فالنجاة مبنية على علاقة الإنسان بأخيه الإنسان. المسيح لا يُبحث عنه في المؤسسة، بل يبحث عنه في المضطهد والمعذب. الاتحاد مع المسيح هو الاتحاد مع

هؤلاء حيث يقول: ماذا فعلت بأخي هذا الضعيف. انطلاقاً من هذا لا يُسأل الإنسان في الدينونة بماذا كنت تؤمن، بل يُسأل عما فعل بأخيه الضعيف.

من هنا، ومن دون أن أُدخِل أحداً في المسيحية أقول: كل إنسان يتطابق فعله مع الإنجيل ينجو، سواء آمن بالمسيحية أم لم يؤمن. فليس الخلاص حكراً على المسيحيين وحدهم، بل هو باب مفتوح للجميع. وأشير إلى أن هذا الكلام الذي أطرحه هو رأي من بين آراء عدة، فقد تجد من يتشدد في ذلك ويرفض هذا الكلام.

: هذا بالنسبة لمن يتطابق فعله مع الإنجيل، فهو ينجو كما تفضلتم، ولكن لو تطابق فعله مع شيء آخر يؤمن به كالبوذي الذي يتطابق فعله مع البوذية التي ربما تختلف عن المسيحية في كثير من التفاصيل؟

الدكتور مسوح: أعتقد أن لكل دين بنية معينة لتحديد كيفية الخلاص. المسيحية تؤمن أن المسيح هو المخلّص في الأحوال كلها، إلا أنه أتى للبشر جميعاً وليس للمسيحيين وحدهم.

: إذا لا يمكن اعتبار بوذا مخلّصاً.

الدكتور مسوح: لا طبعاً، فالخلاص محصور بالمسيح وحده.

: قلتم سابقاً: إن غير المسيحي يخلص، وهنا تقولون: إن الخلاص محصور بالمسيح وحده إذا جمعنا بين الكلامين يمكن أن نستنتج من كلامكم أنكم تؤمنون بفكرة المسيحيين المجهولين، حيث ينجو كثير من الناس بالمسيح، من دون أن يعلموا أنهم مسيحيون؟

الدكتور مسوح: أنا أرفض مقولة المسيحيين المجهولين. هم مسلمون. هم بوذيون، يهود إلى آخره، فأنا ضد اللاهوت الذي يحاول إدخال الآخرين في المسيحية؛ لأن لكل إنسان طريقه إلى الخلاص، لكن بحسب المسيحية المسيح هو وحده المخلص؛ لأنه هو الذي مات من أجل كل الناس، وبالتالي هو أكبر من المؤسسة المسيحية، ولا يتوقف خلاص الناس على دخولهم في المؤسسة المسيحية، بل يخلص بالطريقة التي اختارها إذا كان صادقاً مع نفسه. وبهذا المعنى يقول القديس بولس: كل إنسان يدان حسب ناموسه وشريعته وبمقدار صدقه في هذا الإيمان. ومن هنا أقول: إن باب الخلاص مفتوح للجميع عبر المسيح، ومن لم يكتشف المسيح هنا، سوف يكتشفه هناك؛ وذلك لأن المسيحيين مهما سموا في تعاليمهم لا يستطيعون الوصول إلى جميع الناس.

: يبدو من الأجواء السائدة في الخطاب الديني المسيحي، أن الدين المسيحي لا يشجع المؤمن على أخذ الحقوق والدفاع عن النفس، بل يؤكد فكرة المحبة والتسامح مع الأعداء وغير ذلك من المفاهيم المشابهة.

الدكتور مسوح: عندما يكون الإنسان في مقام التوجيه والإرشاد، عليه أن يذهب إلى أقصى الفكرة ليضمن الحد المعقول من الالتزام بها، ولكن لا يعني هذا عدم وجود حق بالاقتصاص والمعاقبة، فالقوانين الجزائية وضعت لتحمي الناس من الاعتداء، ولتكون رادعاً للمجرم عن التفكير في الجريمة، شرط أن لا يصل الأمر إلى الإعدام؛ حيث إن المسيحية لا تجيز الإعدام؛ لأنه يسد طريق التوبة في وجه المجرم؛ ولأننا نحوّل القاتل ـ مثلاً ـ إلى مثالنا عندما نقتله جزاءً لارتكابه جريمة القتل، بينما علينا أن نجعل المسيح مثالنا الوحيد. وأيضاً علينا أن لا نُعفِي المجتمع وتربيته، ولولا بعض الظروف المحيطة به لما توجه نحو الجريمة.

: إذا قبلنا ما تفضلتم به، فكيف تبرر غير الإعدام من العقوبات؛ حيث إن أي عقوبة، سواء كانت السجن أم غيره تتضمن عنفاً، أو حداً من حرية هذا المجرم، فكيف تقبلون مبدأ العقاب وتستثنون الإعدام؛ أليس هو عقوبة كغيره من العقوبات؟

الدكتور مسوح: الفرق بين الإعدام وغيره، من جهة أنَّ الإعدام لا يبقي مجالاً للتوبة بينما سائر العقوبات تبقي المجال مفتوحاً للتوبة، شرط أن تقترن هذه العقوبات بتربية وتوعية، أما الوضع الحالي السائد؛ فإنه يؤدي إلى دخول المجرم إلى السجن وخروجه منه أكثر إجراماً.

: لكن عندما تصل درجة الإجرام إلى حد الاعتداء على الآخرين ، ألا يبرر ذلك حرمانه من حق الحياة هذا أولاً. وثانياً: ألا ترون أن للعقوبات جانباً ردعياً تربوياً في مرحلة ما قبل الجريمة؛ لأن الإنسان عندما يعلم بأنه لو قَتَل يُقتَل، يحاول تجنب ذلك بدرجة أعلى، مما لو علم أنه لا يقتل، بل يسجن لفترة يطمع بعدها في العفو عن جريمته؟

الدكتور مسوح: إذا أخذنا الإحصاءات المتوفرة عن عقوبة الإعدام، يثبت أنها لم تمثل رادعاً، فربما نجد أن البلدان التي لا تجوز الإعدام تحصل فيها حالات قتل أقل من البلدان المشرعة لعقوبة الإعدام. إذاً، الرادع الأساس عن كل الجرائم هو تحسين الأوضاع الاجتماعية والتربوية.

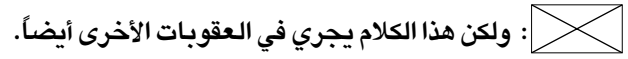 **: ولكن هذا الكلام يجري في العقوبات الأخرى أيضاً.**

الدكتور مسوح: هناك فرق بين العقوبات، فإنني عندما أقتل القاتل أكون قد جعلته نموذجاً وأسوة لي، وأما عندما يسرق فأسجنه لا أكون قد قابلته بمثل ما فعل ولم أجعله مثالاً لي.

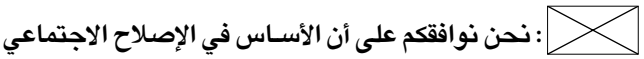 **: نحن نوافقكم على أن الأساس في الإصلاح الاجتماعي هو التربية والتعليم ورفع المستوى الاقتصادي وغير ذلك من الأمور التي تخفض مستوى الجريمة إلى الحد الأدنى، ولكن هل يبرر الفقر، أو غيره من الأوضاع الاجتماعية الضاغطة جريمة القتل مثلاً، ربما نقبل تعليق بعض العقوبات كعقوبة السرقة في حالات المجاعة، ولكن لا ينبغي تعليق عقوبة الإعدام للقاتل لأجل المجاعة.**

الدكتور مسوح: أنا لا أزال مصراً على أن الإعدام ليس رادعاً أساسياً للقتل، فهناك الكثير من الإحصاءات تثبت أنّ ثمة بلداناً ألغت عقوبة الإعدام، ونسبة القتل فيها أقل. وبالتالي، هذا يكشف عن أن الإعدام لم يردع عن القتل.

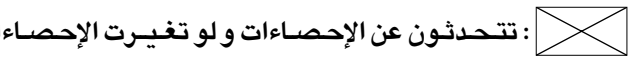 **: تتحدثون عن الإحصاءات و لو تغيرت الإحصاءات، فهل تغيرون رأيكم في الإعدام. مضافاً إلى وجود عوامل أخرى تخفف من معدل الجريمة في البلدان التي تتحدثون عنها، فلا يمكن أن نقيس كل البلاد على بلد واحد، أو أكثر ألغى عقوبة الإعدام. ثم أحياناً يكون الإجرام بحق أمة بكاملها كما هو الحال مع فلسطين، فهل أنتم ضد الإعدام في مثل هذه الموارد؟**

الدكتور مسوح: بالنسبة لتبدل الإحصاءات، فإنها مجرد فرضية لا يمكن بناء موقف على أساسها، وبالنسبة للجريمة التي ترتكب بحق مجتمع بكامله فإن الأمر يختلف تماماً؛ وذلك لأنه لو أخذنا شارون مثالاً فإن قتله لا يحل المشكلة، ولن يأتي أصلح منه. إذاً هذه الجريمة ليست جريمته وحده وإنما هي جريمة المجتمع الإسرائيلي أيضاً، ونحن في حالة صراع معه والحرب مفتوحة على مصراعيها، ونحن نريد استرداد حقوقنا في فلسطين، فالأمر إذاً مختلف.

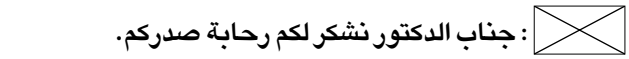 **: جناب الدكتور نشكر لكم رحابة صدركم.**

الدكتور مسوح: أشكركم.